منشىء المجلة
انطون الجميل

الزهور

المدير المسؤول
امين تقي الدين

الجزء السادس اكتوبر (تشرين الاول) ١٩١٣ السنة الرابعة

ڤردي

رواية « عائدة » – الأوبرا الخديوية

نبغ فى ايطالية طائفة من رجال الفنون الجميلة شرّفوا اسم بلادهم، وأعلوا مقامها بين الأمم، فأولوها فخراً لم تنلهُ هي ولا غيرها بالحروب والفتوحاتِ الجسام. ولقد ينقلبُ وجهُ العالم السياسيّ فتبيد دولٌ وتشاد دول، ويبقى لايطالية المجدُ المؤثّل والعزُّ الوطيد، ما دام للشعر والموسيقى والتصوير دولةٌ ورجال، ودولة هذه الفنون الجميلة دائمة ما دام للإنسان قلبٌ يخفق ونفسٌ تتعشّقُ الجمال

تحتفل تلك البلاد فى هذه السنة بعيد ڤردي أحد نوابغها المشهورين فى عالم الأنغام، بمناسبة مرور قرنٍ كامل على ولادتهِ، ولا تسلْ عن معالم الأفراح وحفلات التكريم التي تُقام فى هاتيك الربوع احتفاءً بذاك اليوم السعيد. وهكذا الأمم الحيّة الراقية تكرم ذكرى رجالها النوابغ، فتبعثُ فى صدور أبنائها روح النشاط والهمة

ليس فردي بالرجل الغريب عنا حتى ندعَ عيدهُ يمرُّ دون أن نقول فيهِ كلمة، ونطرح على ضريحهِ باقةً من الزهر لسوةً بسائر الأمم التي هبت لتكريم ذكرهِ . فهو مؤلف « عائدة » وعائدة أول رواية ملحّنةٍ ظهرت على مسرحنا الوطني الأكبر « الأوبرا الخديوية » وضعها بناءً على طلب خديوي مصر الأسبق، وجعل وقائعها فى مصر، ومثِّلت لأول مرة فى مصر، ولا تزال الأجواق الأوربيـة التي تجيءُ البلاد فى كل شتاء تمثّلها بنجاحٍ عظيم؛ لذلك رأينا أن نقول كلمةً فى الرجل وأعمالهِ وروايتهِ وعلاقتهِ بنا

*
* *

وُلد فرنسيس يوسف فردي فى العاشر من شهر اكتوبر سنة١٨١٣ فى احدى قرى دوقيـة پارمه التي كانت تابعةً فى ذلك العهد لإحدى مقاطعات فرنسة. وكان والداهُ يُديران فُندُقًا صغيرًا يُساعدهما دخلهُ على تربية أولادهما؛ فأظهر منذ حداثة سنهِ ميلاً الى علم الأنغام والتوقيع. فكان يقصدُ فى كل صباح كنيسة القرية فيخدم القدّاس ويتمرَّنُ مقابل ذلك على الضرب على أرغن قديم كان فى الكنيسة. ولم يلبث أن أتقن كل الانغام الدينية والترانيم الطقسية فعُهد اليـهِ بادارة جوقة الكنيسة. وكان مستخدماً عند أحد باعة الخمور لقاءَ راتبٍ يمكّنهُ من القيام بحاجاتِ معيشتهِ. وظلَّ على هذه الحالة حتى الثامنة عشرة من عمره. وكان صاحب الحانة نفسهُ مولعاً بالموسيقى فرأى فى الفتى استعداداً لهذا الفن الجميل، فوالاه بمساعداته حتى مهّد له السفر الى مدينة ميلانو والبقاء فيها ثلاث

سنوات كاملة يأخذ الفنّ عن مشاهير أربابهِ . وقد اقترن فى غضون ذلك بابنة مساعدِهِ بائع الخمر ، فكانت له خير شريكة فى حياته

ولمّا أنس ڤردي من نفسه الإستعدادَ اللازم ، أخذ يضع قطعاً موسيقية ، ويؤلّف روايات ملحّنة من المعروفة عند الافرنج بالأوپرا . فلاقى نجاحاً يذكر ، وعُرف اسمهُ بين كبار الموسيقيين . ولم تكن العقبات التي لاقاها لتُضعف عزيمتهُ ، أو تُخمد نار همته ؛ بل كان يواصل الدرس والعمل ليصلح من أسلوبهِ ، ويصقل أنغامه . فلحّن فى خلال سبع عشرة سنة عشرين روايةً أشهرها : نبوكدنصّر ، وأورشليم ، وهرناني ، ومكبث (عن شكسبير) ، وريجولتّو (عن رواية مضحك الملك لفكتور هوغو) وتراڤياتا (عن لادام أو كاميليا لدوماس)

وعظمت شهرتهُ على أثر تلحينه رواية « مكبث » ؛ فانهُ تمكّن من أن يبرز بالألحان والأنغام تلك العواطف المتنوّعة التي عبّر عنها شكسبير ببيانهِ السحريّ . ففي الليالي الثلاث الأولى لتمثيلها كان المسرح مكتظاً بالحاضرين ، وقد أخذ الطرب منهم كلّ مأخذ ، فكانوا يطلبون المؤلف كل ليلةٍ فوق الثلاثين مرةً ، وأركان القاعة تكاد تتقوّض من شدة التصفيق وهتاف الإعجاب . وكانوا فى ختام التمثيل يطوفون به المدينة ويرافقونه الى منزله مهللين مكبرين . ورأى مواطنوهُ وجوب تكريم عبقريتهِ فقدّموا لهُ اكليلَ غارٍ من الذهب إشارةً الى تبوّئهِ عرش الموسيقى

ومن ثمّ تجاوزت شهرة ڤردي حدود وطنه وعظُم اسمهُ فى أوربة ، فمثّلت رواياتهُ في اكثر العواصم والمدن الكبرى

وكما ان المصاعب التي لاقاها لم تقعد بهمتهِ فكذلك لم يُسكره نجاحهُ الباهر، بل ظلَّ عاملاً مجدّاً يرتقي من الحسن الى الأحسن . وهذا شأن النابغين

*
* *

وكانت مملكة سردينيا فى ذلك العهد تسعى الى انشاء مملكة ايطالية الجديدة بخلع نير النمسة وتأليف الوحدة الوطنية الايطالية . فلعب ڤردي دوراً خطيراً فى تلك الحوادث السياسيـة ، وكان ينتمي الى الحزب الإستقلالي فجاهـد فى سبيلهِ جهاداً مذكوراً . وكان الشعب يرى فى رواياته تلميحاً ظاهراً وإشارة بيّنة الى الأماني الوطنية التي كانت تشغل أفـكار ذلك الجيل ؛ فساعد ذلك على بعد صيتهِ وانتشار شهرتهِ

وكان شعار حزب الاستقلال « فيكتور عمانوئيل ملك ايطالية Vittorio Emmanuele Re d'Italia. » ومن غرائب الاتفاق انك لو أخذت الحرفَ الأوّل من كل كلمة من هذه الكلمات لكان لديك اسم ڤردي V.E.R.D.I. وهكذا ظلَّ اسمهُ مدةً شعاراً لطلاب استقلال المملكة الإيطالية ، فكانوا ينادون به فى جميع الاحتفالات القوميـة والمظاهرات الشعبية

وعلى أثر تأليف مجلس النوّاب الإيطالي ، انتخب ڤردي عضواً فيه (سنة ١٨٦١) وفى نوفمبر سنة ١٨٧٤ انتخب عضواً فى مجلس أعيان المملكة . ولما احتفلت ايطاليـة سنة ١٨٨٩ بيوبيلهِ الماسي ، أرادت الحكومة أن تنعم عليهِ بلقب « مركيز » فأبى قبول هذا اللقب

وكانت وفاتهُ سنة ١٩٠١

*
* *

ومن أشهر رواياتهِ رواية « عائدة » التي سبقت الاشارة اليها في صدر هذا المقال . وضعها بناءً على طلب المغفور له الخديوي الأسبق

اسماعيل باشا، وكانت أول روايةٍ مُثِّلت في الاوبرا الخديوية (دسمبر سنة ١٨٧١) ولا يزال الكثيرون في مصر يذكرون تلك الحفلة الشائقة.

ولا تزال رواية عائدة عروس المسارح وموضوع اعجاب محبي الموسيقى، وقد ترجمها الى اللغة العربية المرحوم سليم نقاش، وهي من الروايات التي يمثلها الشيخ سلامه حجازي

أما موضوعها فنلخِّصهُ في ما يأتي :

وقعت « عائدة » ابنـة ملك الحبشة « أمونسرو » أسيرةً في يد فرعون مصر . فأهداها الى ابنتـهِ « أمنريس » لتكون من وصيفاتها . وكانت على جانبٍ عظيمٍ من الجمال والظرف فنالت حظوة لدى مولاتها، وصارت في وقتٍ قصير صديقة حميمة لها بل أختاً محبوبة

ورآها « رادامِس » كبيرُ قوّادِ فرعون ، فأحبّها ؛ وأحبتهُ لبسالتهِ وكرم أخلاقه . فلم يلبثا أن تعاهدا على الود الدائم

وكانت « امنريس » ابنـة فرعون تكتم في فؤادها لرادامس حباً شديداً فخامرها ريبٌ في أمرهما وأخذت تُراقبهما سرًّا لتقف على دخيلة الأمر وقد آلت على نفسهـا أن تنتقم من « عائدة » اذا ما أيقنت من حبها لرادامِس

وفى تلك الأثناء زحف « أمونسرو »ملك الحبشة بجيوشه على مصرَ، واستولى على « طيبة » فنهب وسبا، فخرج عليه رادامِس من « منف» بجيوشٍ جرّارة وهزمهُ شرَّ هزيمة ، ودخل « طيبة » منصوراً مثقلاً بالغنائم ومعهُ عددٌ كبيرٌ من الأسرى . وكان بينهم ملك الحبشة نفسهُ متخفياً بلباس ضابط

ثمَّ عاد القائد الظافرُ الى « منف » حيث جرى له استقبالٌ باهر، ووضعت على رأسه اكاليلُ الغار، وأقيمت الحفلات الدينية في الهياكل شكراً للآلهة . وسأل رادامس فرعونَ مصر أن يعفو عن الأسرى، فأجابهُ الى سؤلهِ ، وأطلق سراحهم جميعاً ماعدا « أمونسرو » فانهُ أبقاهُ أسيرًا مع « عائدة » وكان قد عرف أنهُ أبوها

وأراد فرعون أن يجزل لرادامس المكافأة فعرض عليه أن يزوّجهُ ابنتهُ « أمنريس »

على أن القائد كان لا يزالُ أميناً على عهد « عائدة » وقد عقد النية على الاقتران بها كيف كان الحال . فأوعز اليها أن توافيهُ ليلاً الى مكان قرب هيكل « إيزيس »

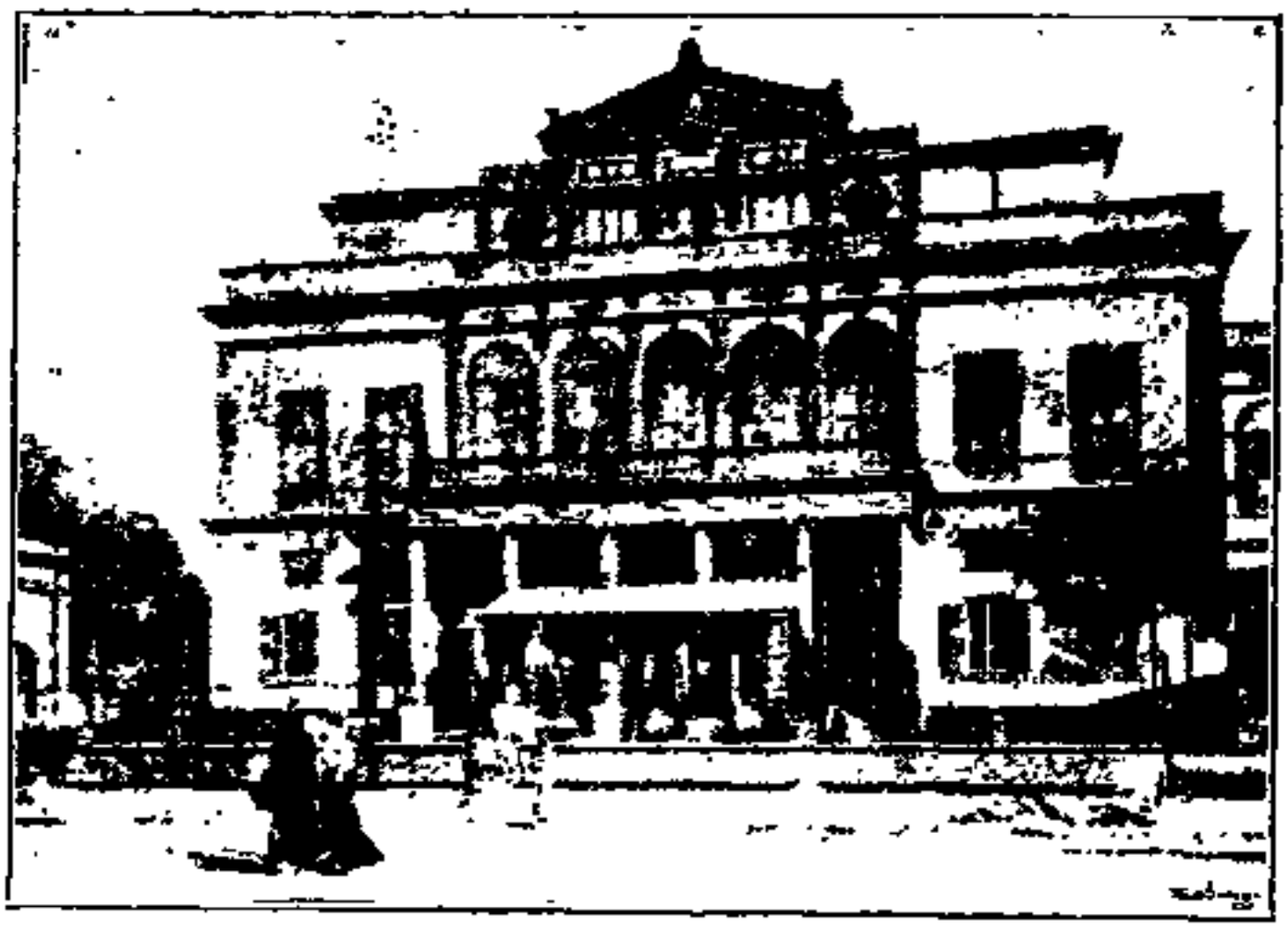

الاهرام الجديدة

وكان « أمونسرو » قد عرف في مدة اسره شغف قائد المصريين بابنته ، فرأى أن يستخدم هذا الحبّ للتغلُّب على مصر ، لا سيما وان الحبشان كانوا يتأهبون لاستئناف القتال . فكمن للحبيبين قرب الهيكل ، وهكذا تمكن من أن يسمعَ القائدَ المصريّ يتفق مع عائدة على الهرب ويعين لها الطريق الذي سيسيران فيه لئلا يلتقيا بالجيوش المصرية الزاحفة لمقابلة الجيوش الحبشية . ولما ظهر من مخبإِهِ ذُعر رادامس وأدرك أنه خان

بلادَهُ لأن عدوها اطلع على خطة الجيش

واتفق أن امنريس كانت في تلك الأثناء في هيكل إزيس، وبينا هي خارجة مع الكاهن رأت المجتمعين وسمعت بعض حديثهم . فلم يرَ رادامس إلاَّ أن يسلم نفسهُ فداءً لوطنه، وفاز أمونسرو مع ابنته بالهرب

أما رادامس فحكم عليه بأن يدفن حياً، فعرضت عليه ابنة فرعون عفو أبيها إن هو أعرض عن « عائدة » فأبى؛ ولما أُنزل في القبر المعدّ لهُ وجد أن عائدة قد سبقتهُ اليه : فدُفنا معاً

* * *

وقد وقفنا على العقد الذي وُضع بشأن رواية « عائدة » فأحببنا أن نطلعَ القراءَ عليه، والأصل محفوظٌ في سجلات الاوبرا الخديوية وهذه ترجمتهُ :

بين الموقعين أدناه :

مسيو أوغست ماريت بك باسم وإذن سمو اسماعيل باشا خديوي مصر من جهةٍ، ومسيو جوزف فردي مؤلف موسيقيّ من جهة ثانية

تم الاتفاق على ما يلي :

يتعهد مسيو فردي بتأليف موسيقى رواية ملحنة « أوبرا » مؤلفة من اربعة فصول عنوانها « عائدة » التي قبل بموضوعها (مع حفظ حق التعديلات التفصيلية التي قد يوافق إدخالها)

تُمثل هذه الأوبرا في تياترو الأوبرا الخديوية في القاهرة خلال شهر يناير سنة ١٨٧١

ينظم أشعارها الإيطالية شاعرٌ يختارهُ مسيو ڤردي

ولا يكلف مسيو ڤردي الحضور الى القاهرة لمراقبتها وحضور مراجعاتها، بل يمكنهُ أن يرسل من قبله شخصاً يختارهُ لإدارة العمل وإعداده حسب رغائبه اذا وجد ذلك ضرورياً

بعد تمثيل عائدة في القاهرة يحقُّ لمسيو ج. ڤردي أن يمثلها في أوروبة على المسرح أو المسارح التي يختارها

يختار مسيو ڤردي في جوقة التمثيل الإيطالية الموجودة في القاهرة الممثلين الذين يقومون بأدوار الرواية

الموسيقى والكلام فى رواية عائدة يكونان في مصر ملكاً تاماً لسموّ الخديوي

يحفظ مسيو ڤردي لنفسه ملكية الكلام والموسيقى في سائر أقطار العالم

يرسل مسيو ڤردي الى مصر، أو يسلم في باريس في الوقت المناسب، الى مندوب سمو الخديوي نسخة ملحنة من موسيقى « عائدة »

يتقاضى مسيو ڤردي مقابل هذا العمل مبلغ ١٥٠ الف فرنك

يُدفع هذا المبلغ على قسطين : خمسين الف فرنك يوم توقيع الاتفاق، ومئة الف فرنك يوم يسلم مسيو ڤردي أو يرسل الى سمو الخديوي موسيقى عائدة

كتبت من هذا العقد نسختان في باريس في ٢٩ يوليو ١٨٧٠

مقرٌّ بما فيه

الامضاء : ا . ماريت

(٣٧)

أقبل هذا العقد مع التعديلات الآتية :

اوّلا : الدفع يجب أن يكون ذهباً

ثانياً : اذا حدث حادث غير منتظر مهما كان ولا علاقة لي أنا بهِ أعني لغيرِ تقصيرٍ مني فلم تمثّل الأوبرا فى القاهرة خلال شهر يناير من سنة ١٨٧١ ، يكون لي الحق في تمثيلها أينما شئت بعد مضيّ ستة أشهر

(من ذلك التاريخ) الامضاء : *جوزبى فردى*

الى القراء

كان في النية — كما وعدنا القرّاء — أن نخصّص هـذا الجزءَ من « الزهور » بأبحاث أدبية اجتماعية عن حالة « مراكش والجزائر وتونس وطرابلس الغرب » كما خصّصنا الجزئين ٦ و٧ من السنة الاولى لهذه المجلة بموضوع « مصر وسورية » وذلك رغبةً منّا في زيادة القراء معرفة بالأقطار العربية وأخبار نهضتها الفكرية . على أنهُ لم يتيسر لنا تهيئة جميع المعدات اللازمة بالنظر الى صعوبة الحصول على المعلومات التي يقتضيها الموضوع . فرأينا ، من أجل ذلك ، أن نؤجلَ إصدار الجزء الموعود بهِ ، ريثما تصلنا التفاصيل والمعلومات التي طلبناها من أنحاء مختلفة ، فتتوافر لدينا المعدّات اللازمة لجعل البحث مستوفياً يُرضي القراء ويفيدهم ؛ وسيتمُّ لنا ذلك عن قريب ، إن شاء الله